مأزق الثقافات الوطنية في ظل استقطاب العولمة الثقافية

The predicament of national cultures under the polarizations of cultural globalization

العربي فاروق [1]

[1]جامعة الجزائر 3 (الجزائر) : Farouklarbi 123 @ gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/11/19 تاريخ القبول: 2021/05/09 تاريخ النشر: جوان 2021

الملخص:

تحاول هذه المقالة أن تتناول أو تتعرض إلى إشكالية ذات أهمية بالغة ، والتي تتمثل في مكانة الثقافة الوطنية في كنف ظاهرة العولمة، إذ يبدو أن هذه الأخيرة تحمل في طياتها تأثيرات وإنعكاسات سلبية على المشهد أو الواقع الثقافي للمجتمعات والدول، التي باتت تتعرض لجملة من التهديدات، سواء تلك التي توصف بالصلبة Hard أو التهديدات الليّنة Soft، ومن ضمن هذه الأخيرة نجد مختلف روافد العولمة، في كون أن العولمة وبمعطيات قوتها ونفوذها التكنولوجي الإعلامي والمالي وكذا بتأثيراتها الرمزية الثقافية أضحت تشكّل هاجسا ومصدر قلق وتهديد للأمن وحتى للسيادة الوطنية كما تتصادم مع الخصوصيات الثقافية من خلال قوة البّث Diffusion Power التي تحوزها. إذ تعمق هذا الدور وبشكل كبير في ظل محدودية أدوار الثقافات الوطنية في الصد أو المجابهة، وفي المقابل تنامي أدوار قوى العولمة، ومن خلال ذلك تُطرح جدلية الثقافة الوطنية والعولمة الثقافية بين دعاة التكيف والمسايرة ودعاة الرفض والممانعة.

الكلمات المفتاحية: العولمة، الثقافة الوطنية، الخصوصيات الثقافية، السيادة الوطنية، قوى الإختراق.

Abstract:

This article attempts to address the thorny issue of the impasse facing the national culture in the era of globalization , and the contradictory implications of this phenomenon on the cultural scene and the cultural activities at the level of countries and societies ، especially developing ones ، through the contents and the forces of globalization often tend to collide with the cultural specificities of societies trying to strip them of their intrinsic elements. This has created a dialectic between local culture (national) and "globalized culture" within a debate ranging between resistance , and adaptation and acceptance.

Key words : Globalization , National Culture , Cultural Specificity,Sovereignty , The Forces Of Penetration.

المؤلف المرسل العربي فاروق، الإيميل: Farouklarbi 123 @ gmail.com

مقدمة

تتعرض كل المنظومات الثقافية الوطنية اليوم إلى كم هائل من التدفقات FLUX القيمية والرمزية المُعبّرة عن النموذج الواحد المهيمن الذي يتجه نحو اختراق حدود السيادة الوطنية بفضل الثورة الرقمية الهائلة التي يحوزها.

ففي عهد " ثقافة الميديا " التي صنعت بفضل الفضاء الأزرق وإمبراطوريات السمعي البصري تشكلت مواد إعلامية متلونة في قالب مشوق جذاب Attractive يحمل مضامين للإثارة التشويق والمتعة ومعها يبّلغ خطاباته ورسائله الايديولوجية ويبلغ أهدافه الاستهلاكية ليصل إلى تمرير كم معتبر من القيم والمواقف السلوكية دونما نقد أو ممانعة من المتلقي.

تعيش العديد من المجتمعات إشكاليات مستعصية زمن العولمة تتضمنها أدبيات ومقولات متواترة على غرار "الغزو الثقافي" "الإزدواجية الثقافية"، "التلاقح الثقافي" "التصادم الثقافي" "الخصوصية الثقافية" "التعددية الثقافية" "الأحادية الثقافية " وغيرها من الثنائيات.

وعلى قدر المزايا التي حملتها العولمة الاتصالية من رفاه وأريحية لبني البشر وتهوين الصعاب واختصار الزمن واختزال الجغرافيا بفضل الاتصال الفوري Instantané، فإنها بالمقابل حملت هواجس ومخاوف الانسلاخ الثقافي والانفصام الهوياتي، فقد باتت "العولمة الثقافية" أو " ثقافة العولمة" تشكل تهديدا لمنظومة القيم والرموز الثقافية المحلية وتغييرا في المرجعيات وتحويلا في أنماط الحياة.

انطلاقا مما سبق تحاول هذه الورقة الإحاطة بالإشكالية التالية:

كيف يتسنى للثقافات الوطنية التكيف مع العولمة الثقافية؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات:

– هل تملك المنظومات الثقافية الوطنية القدرة المناعية الكافية للتحصن من العولمة الجارفة؟

– ما هي حدود الصّد او الرفض والممانعة أو القبول والتكيف والتوليف بين القيم المحلية والقيم العولمية؟

ولتطوير هذه الورقة في جانبها المضاميني المنهجي فإننا سنعتمد على المنهج الوصفي Descriptive Method الذي يحاول وصف الظاهرة كما هي باعتبارها ظاهرة اجتماعية إنسانية، زيادة على المنهج عبر الحضاري Cross Civilizational Method الذي يحاول فهم وتوظيف أنماط التفاعلات الحضارية الثقافية بين المجتمعات.

ومحاولة منا الإجابة على الإشكالية المدّونة أعلاه نقترح الخطة التالية:

مقدمة:

المحور الأول: مدخل مفاهيمي حول الثقافة والعولمة.

المحور الثاني: العولمة الثقافية وروافدها الإعلامية والاتصالية.

المحور الثالث: الثقافات المحلية بين جدلية الانسلاخ والتكيّف.

الخاتمة

المحور الأول: مدخل مفاهيمي حول الثقافة والعولمة

لعلّ مصطلح الثقافة هو من ضمن أكثر التعاريف استشكال وتعقيداً، إذ ليس هناك اتفاق بين الدارسين والمختصين حول مفهوم موحّد، اعتبارا لتعدد الحقول والتخصصات التي يتموضع فيها مصطلح الثقافة، واعتبارا لتعدد المذاهب والتيارات والأيديولوجيات والمشارب والمناهل وغيرها.

والثقافة في مدلولها اللغوي تعني الحذق وسرعة التعلم والفطنة والنباهة، وأيضا هي العمل بالسيف، والثقاف هي ما تسوّى به الرماح، وهي أيضا الأدب والتهذيب والظفر بالشيء.

في معجم لسان العرب عند ابن منظور ثقف بمعنى " تقويم الرمح وتسويته " من دون أن يمتد المعنى ليشمل الفكر والذهن، بما أن الكلمة التي كانت مستعملة في هذا الشأن هي "التأديب" والأدب كان يحيل إلى ما نعنيه اليوم بالثقافة، فضلاً عن معناه السلوكي الأخلاقي.[1]

وتعاريف الثقافة كثيرة إذ يمكن القول أنّ لكل باحث تعريفه ولكل اتجاه ومدرسة أو تيار فكري تعاريف خاصة بهم.

لقد أحصى عالما الأنثربولوجيا الأمريكيين كروبر (Krober) وكولكهون (Kluckhohn) ما لا يقلّ عن 160 تعريفا خلال النصف الأول من القرن العشرين.[2] فما بالك اليوم وقد ازدادت العلوم والحقول المعرفية تخصصات وتفريعات.

هذا الوضع أي تعدد التعاريف دفع بإدغار موران E. Morin إلى تعريف الثقافة بكونها: "بداهة خاطئة هي كلمة تبدو وكأنها ثابتة، والحال أنها كلمة فخّ ملغّمة، الواقع إن مفهوم الثقافة ليس أقل غموضاً وتشكيكاً وتعدداً في علوم الإنسان منه في التعبير اليومي".[3]

ويبدو أن هذا الموقف الذي أعلنه موران E. Morin له ما يبرره في التطورات التي مرّت بها دلالات كلمة ثقافة في البيئة الثقافية الغربية.

فكلمة ثقافة اكتسبت معناها الفكري في أوروبا خلال النصف الثاني من القرن 18، فالكلمة الفرنسية كانت تعني في القرون الوسطى الطقوس الدينية (cultes) ولم تكن تعبر عن فلاحة الأرض (Agriculture) إلا في القرن 17، أما في القرن 18 فقد عبّرت عن التكوين الفكري عموماً، وعن التقدم الفكري الشخصي خصوصاً، ولما انتقلت الى اللغة الألمانية في النصف الثاني من القرن 18 اكتسبت مضمونا جماعياً، حيث أصبحت تدل خاصة على التقدم الفكري الذي يتحصل عليه الشخص، أو المجموعة الإنسانية، واكتسبت كلمة ثقافة هذا المضمون في ألمانيا موازرةً مع تصور عام لتاريخ البشرية، إعتمدت فيه درجة التقدم الفكري معياراً أساسيا للتمييز بين مراحل تطوره، أمل تطور الجانب المادي في حياة المجتمعات، فقد أفردت له اللغة الألمانية كلمة حضارة.[4]

أما من الزاوية الاصطلاحية، فلعلّ أشهر تعريف للثقافة والذي يكاد لا يفوت أي باحث في العلوم الإنسانية، هو تعريف إدوارد تايلور في كتابه الثقافة الأولية أو البدائية.

E.B.Taylor: the primitive culture الذي عرّفها على أنها: "ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والاخلاق والقانون والقيم والعادات والعرف وسائر الممكنات التي يحصل عليها الفرد.[5] ويقترب من هذا التعريف ذلك التعريف الذي قدّمه بريستيد R.Biersted في كتابه " The social order" الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشمل كل شيء، وكل قيمة معتنقة وكل سلوك ننهجه وكل شيء نملكه بكوننا أعضاء وفاعلين في المجتمع".[6]

ويعرّفها كل من سارون Saro وويلر wyler بأنها: " تتألف من اللغة وآدابها والفولكلور والمهارات والخبرات، كما تشمل أيضا القيم والأذواق، والنظم التعليمية والتربوية والعقائد والأنظمة والأنساق الاجتماعية.[7]

يعرّفها أنصار الاتجاه الواقعي على ضوء الثقافة السارية، أي ما هو متحقق فعلا داخل المجتمعات فالثقافة عندهم هي: "نماذج السلوك الاجتماعي كما تمارس داخل المجتمع".[8] بينما أنصار المدرسة أو التيار المعياري فيعرفونها" كونها عبارة عن الأفكار والتصورات والمُثل التي توّجه السلوك الاجتماعي".[9]

وحسب البعض يبقى الإنجاز الأهم في تحديد اصطلاح الثقافة يُنسب إلى التيار الثقافي الأمريكي الذي جمع بين التحليل النفسي الأنثروبولوجي والاجتماعي، حيث عرف الثقافة كونها: "جملة المواقف والأفكار والسلوكيات المشتركة بين افراد المجتمع، والنتائج المادية للسلوكيات البشرية وإنتاجاتها والإبداعات، بعيداً عن الخصوصيات والاختلافات الاجتماعية".[10]

كما حظيت الثقافة بتعاريف عديدة من قبل الكتاب والباحثين العرب من ضمنها تعريف مالك ابن نبي "هي كل مركب من الدين والتقاليد والأخلاق والفنون الى جانب المعارف والإبداعات والصنائع".[11]

كما عرفها الكاتب عبد الحليم بركات: " هي مُجمل أساليب المعيشة في حياة الشعب اليومية التي تشمل بين عناصرها المترابطة في نسيج متكامل، الرؤية العامة، القيم والمبادئ، المفاهيم والعادات، المعتقدات والمقاييس، المعايير والمهارات، الأعراف والقوانين، المناقب الأخلاقية والقواعد السلوكية اليومية، وبمعناها الحضاري فتشير بشكل خاص إلى مُجمل المعارف والإنجازات الإبداعية والفنية الفكرية وكذا التقنية".[12]

وفي تقديـرنا المتواضع يمكن تعريف الثقافة على أنها: "نمـــط حياة Style of life بأبعاده المعنوية والمادية."

وفيم يتعلق بتعاريف المؤسسات الدولية والمنظمات الإقليمية فتأتي في مقدمتها منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة UNESCO التي أنشئت في 1 نوفمبر 1945 إثر مؤتمر تأسيس عقد بلندن ضمّ

44 دولة كانت من ضمنها 4 دول عربية وهي مصر، لبنان، السعودية، سوريا وعلى امتداد مؤتمراتها الدورية لم تتوصل هذه المنظمة إلى تعريف جامع للثقافة إلا إثر انقضاء المؤتمرات* الإقليمية والمتعاقبة التي كانت تحضيرًا لمؤتمر السياسات الثقافية المنعقد بالعاصمة المكسيكية مكسيكو سنة 1982 أين تم تعريف الثقافة من قبل اليونيسكو على أنها "جميع السمات الروحية والعاطفية والفكرية والمادية التي تميّز الجماعات والشعوب، وتشمل أيضا مُجمل الآداب والفنون وخاصة الحقوق الأساسية للإنسان التي تجعل منه كائن ذو هوية يتميز بالإنسانية والعقلانية والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي القيمي".[13]

ويرى البعض أن التعريف المقدم من اليونسكو كان بمثابة تعريف توفيقي بين ثلاثة تعاريف كانت سائدة على الساحة الدولية آنذاك وهي التعريف الرأسمالي والتعريف الاشتراكي وكذا تعريف العالم النامي.

أما المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الألكسو ALECSO التابعة للجامعة العربية، وهي منظمة انعقد مؤتمرها التأسيسي بالقاهرة جويلية سنة 1970، وللتذكير فإن أول معاهدة أو اتفاق عربي قامت الجامعة العربية بإبرامه هو الاتفاق الثقافي العربي المشترك فقد عرفت الثقافة على أنها:

"هي كل فعالية للإنسان من نشاط ذهني أو مادي، والثقافة حسب هذا المعنى هي الإنسان نفسه بوصفه فاعلا ومنفعلا وتشمل كل ما ينجزه في حماية من إنتاج مادي أو غير مادي، وهي أيضا قيمة روحية، وعقائد وتقنيات، وإبداعات الإنسان المادية والجمالية".[14]

كما عرفتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلم والثقافة ISESCO التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي على أن الثقافة الإسلامية هي: "الوعاء الحضاري الذي يحفظ الأمة وحدتها، ويضمن تماسكها، ويكسبها السمات الفكرية المميزة، فهي رمز هويتها وركيزة وجودها، وهي جماع فكرها وخلاصة إبداعها، ومستودع عبقريتها، وهي مصدر قوتها، ومنبع تميزها بين الأمم".[15]

وعرفتها منظمة الوحدة الإفريقية OUA من خلال المهرجان الثقافي الإفريقي المنعقد بالجزائر سنة 1969 على أنها: "مجموعة الأنساق والأنظمة والأفكار المكونة والشاملة للإنسان، كما أنها نظام فكري فلسفي وهي العلم والفنون والمعتقدات".[16]

وبعد استعراضنا للبعد المفاهيمي للثقافة، نحاول فحص وتحديد مفهوم العولمة. فيبدو حسب منظورنا ان مصطلح العولمة لا يقلّ غموضًا وتركيبا وتعقيدًا وحتى تشعبا من سابقه، لما ينطوي عليه من مداخل فكرية ومذهبية وأبعاد ثقافية واقتصادية وسياسية وأمنية وتقنية.

لغة فالعولمة من اشتقاق عولم علم عولمةً.

ويرى المفكر أحمد صدقي الدجاني في الدلالة اللغوية للعولمة ومرادفها بالإنجليزية Globalization والكلمتان الأخريان هما الكوكبة والكونية، والعولمة في اللسان العربي من العالم. ويتصل بها فعل "عولم" على صيغة "فوعل" وهي من أبنية الموازين الصرفية العربية، ويلاحظ على دلالة

هذه الصيغة أنها تفيد فاعل يقوم بفعل، وهذا ما يترتب عن صيغة "zation" على خلاف صيغة "ism" في عبارة " Globalism " التي تشير إلى العالمية.[17]

ورد مصطلح العولمة Mondialisation في القاموس الفرنسي Robert عام 1953، أما في القاموس الأمريكي Webster فذكر مصطلح Globalization سنة 1961.[18]

ومن حيث المعنى الاصطلاحي ليس هناك تعريف جامع، بالنظر إلى تضارب رؤى المفكرين وتنوع الحقول الفكرية والمذهبيات التي ينتمون إليها.

وفي هذا الصدد يقرّ الأمريكي جيمس روزنو J.Rosneau بالتعقيد الذي ينطوي عليه تعريف العولمة، إذ يرى أنه من السابق لأوانه إيجاد تعريف كامل نهائي متفق عليه يلائم التنوع الضخم لهذه الحركيـــة، فحتى وإن تم تحديـــد مفهوم معين سيبقى موضع شك، ومن الصعب تقبّله وإشـــاعته بشكل واسع.[19]

ويعرّفها المفكر أنتوني غيدن Anthony Giddens "العولمة هي بالأساس حالة حضارية جديدة، وهي تمثل طفرة ما بعد الحداثة "Post modernism" التي ظهرت في المجتمعات ما بعد الصناعية Post industrialized societies وهي بذلك تمثل طفرة جديدة مميزة ظهرت خلال العقد الأخير.[20]

ويعرفها بصبغة اجتماعية المفكر مالكوم ووترز Malcom waters على أنها: "تلك العمليات الاجتماعية التي يترتب عليها تراجع القيود الجغرافية على الترتيبات الثقافية والاجتماعية، ويتزايد في الوقت نفسه إدراك الفرد لذلك التراجع".[21]

ومن المفكرين العرب يعرّفها سمير أمين: "العولمة هي امتداد للتوسع الرأسمالي المرتبط بالتراكم، وهو توسع امبريالي استقطابي بين المراكز والأطراف، ومعنى التراكم أنه جاء نتاج مسار تاريخي عرفه العالم منذ قرون ثلاثة يكمن على التوالي في الاستعمار، الإمبريالية والعولمة".[22]

ويعرفها الباحث الجزائري محند برقوق:" هي مجموعة الحركيات المتشابكة والمعقدة التي تخلق توافقات نفعية أو غير نفعية بين الدول والبشر، وهي حركيات عبر وطنية وفي أحيان كثيرة تتعدى إرادة وحسابات الدول، لتكون فواعلها غير دولاتية".[23] وبدورنا نرى أن العولمة هي عبارة عن "جملة الديناميكيات الدافعة نحو تنميط الاقتصاديات الوطنية وفقًا للنمط الرأسمالي السائد، وهي أيضًا تنميط المجتمعات وفقا لمعايير وقيم المنظومة الليبرالية المهيمنة".

لقد أصبح مصطلح العولمة "موضة" أو كلمة طنانة وحتى مزعجة، إنه دائم التكرار، وبالرغم من هذا فإنه غامض ومن ثم ليس من السهولة فهمه، لأن ليس هناك اتفاق حول تشخيصه، ومن هنا المرونة في استخدامه التي وصلت إلى حد " الفوضى " في نظر البعض، وإلى حد القول في نظر البعض الأخر أن هناك من التعريفات بقدر ما هناك الدارسين للموضوع، أو القول بأن أفكار العولمة من الاتساع والتنوع والتغير لدرجة إمكان إلصاقها بأي شيء، أو القول بأن العولمة مفهوم غامض ويثير الالتباس نظرا لتعدد التعاريف، وتداخلها مع مصطلحات أخرى.[24]

المحور الثاني: العولمة وروافدها الاتصالية والثقافية.

تروّج العولمة اليوم لأنموذج ثقافي شامل، ويبدو أن هذا الترويج يستند على قوّة بثّ هائلة تجد روافدها في الثورة التكنولوجية والاتصالية الإعلامية المتعاظمة التي يحوزها صاحب هذا الأنموذج، وتعمل قوى البثّ هاته Diffusion Powers المتمثلة في وسائل الاعلام والاتصال المتمخضة عن زخم الثورة الرقمية على نشر وتعميم هذا الأنموذج الثقافي ليشمل العالم ككل، من خلال تفكيك وإزاحة النماذج المحلية الوطنية لكي يحل محلها.

إن التكنولوجيا الجديدة للكابلات والأقمار الصناعية والرقمنة ولأنها تمثل واقعا اجتماعيا جديدا، ومن ثم تخلق موقفا سياسيا جديدا، وهي في أشكالها التي يمكن التنبؤ بها عابرة للقوميات، وسيتم تحريض المجتمعات القائمة بحجة الأسباب التقنية على أن تسترخي أو تزيح بالفعل سلطاتها التنظيمية في الداخل، والثمن الاجتماعي لهذا والنتائج التي ستترتب عن هذا التغلغل من جانب النظم العابرة للقوميات والمحلّقة عاليًا، سَيُترَكُ أمره للكيانات السياسية القومية الموجودة لتدفعه او تتخلف عن الوفاء به.[25]

لقد كان لفليب بروتن Philippe breton بعض الحق في كون الاعلام يساهم في تأسيس العالم، فنظرًا للأهمية القصوى التي تتبوأها اليوم ثقافة الصورة والبث المتلفز الذي أضعف العمل بنظام المخاطبة الثقافية التقليدية عبر الكتب والصحف والمجلّات، وصولًا إلى المدارس والجامعات، فإن المشروع الثقافي الغربي في عصر العولمة قد أصبح في عهدة الإمبراطوريات السمعية البصرية بما تملكه من نفوذ وإمكانات وسلطة تمكّنها من تقديم مادتها الإعلامية للمتلقّي في قالب مشوق يجذب الانتباه عبر تكنولوجيات الاثارة والتشويق، ويقارب عتبة المتعة ومعه يبلّغ خطابه الإيدولوجي وأهدافه الاستهلاكية ويُسهم في وأد حاسة النقد لدى المتلقي، الذي يجد نفسه في النهاية قابلًا لتمرير وتقبّل جميع القيم والمواقف السلوكية دون اعتراض عقلي أو ممانعة نفسية.[26]

يشهد العالم اليوم تناميًا كبيرًا للثورة المعلوماتية، تطورًا هائلًا في تكنولوجياتها والتي تتجسّد في تعدد وسائط ووسائل الاتصال Multimedia، التي تعمل على التدفق الكبير للمعلومات وانسيابها بلا حدود إذ باتت تختزل الفواصل المكانية (الجغرافية) والزمانية، وتعمل في آن واحد على غرس قيم جديدة مُحدثة نوعا من الخلل الوظيفي Dysfoctionnement في البنى الأصلية للمجتمعات المتلقية، وفي ظل هكذا وضع أضحت الدولة الوطنية مثقلة بهذه المدخلات حيث تقلص هامش حركيتها، وتلاشت فيها قوى التحكم والضبط الاجتماعي.

لم يحدث في التاريخ أن أصبحت المناطق الثقافية والحضارية، بما في ذلك أكثر المناطق الثقافية انعزالًا منفتحة ومنكشفة بقدر ماهي متفتحة ومنكشفة حاليًا، بل إن العولمة الثقافية هي التي تقوم بنقل الثقافات والأحكام والقناعات والأيديولوجيات وحتى الأديان بما في ذلك تياراتها المتشدّدة والمتسامحة إلى المستوى العالمي.[27]

فالعولمة الثقافية تؤثر بشكل بالغ على الـثقافات الوطـنية من خلال أجهزة الإعــلام، وهذا ما جعل

بعض الدول والمجتمعات تواجه ما أسماه توماس ماك Thomas Mack بـ" الإمبريالية الإلكترونية " التي هي علامة التبعية، التي تأسست باستيراد معدات الاتصال والبرامج الأجنبية والمعلومات والرموز وحتى المهندسين والفنيين التي جاءت كبدائل للمعايير والقيم المحلية، بل وبإمكانها حتى تغيير الثقافة المحلية وأساليب التنشئة الاجتماعية.

إن الإنتاج المادي والتكنولوجي بالخصوص ما هو إلا ثمرة للمكونات الثقافية ونتيجة من نتائجها، وهوما أكّده الاقتصادي المكسيكي "هيريرا Herrira" من أن التكنولوجيا ليست مظهر مادي للثقافة فحسب بل هي أيضًا عنصر مركزي فيه، ونقل التكنولوجيا يعني أيضًا نقل القيم والمعايير الثقافية ما يهّدد الاستقلال الثقافي للبلدان النامية، وهو نفس ما ذهب إليه عالم الاجتماع البرازيلي غوليت Gullit في أن نقل التكنولوجيا من العالم المصنّع إلى العالم النامي لا يشمل المجال الإنتاجي فحسب بل يَجُرُّ خلفهُ تغييرات في خبرات العمل وفي البيئة النفسية ونمط التفكير، إذ لا يمكن تصور إنتاجًا ماديًا أو أي ظاهرة تكنولوجية بريئة كل البراءة من أي خلفية فكرية.[28]

إن التنوع الثقافي وتنوع النظم السياسية والاقتصادية يعدّ من وجهة نظر دعاة العولمة عاملا معرقلًا وكابحًا لتطوّر المنظومة الرأسمالية، فالنمطية وتوحيد النظم والقيم Standardization or uniformization هي التي تساعد تطور وتوسع المنظومة الرأسمالية، ومن هنا يأتي تشجيع مراكز وقوى العولمة على استحداث ونشر ثقافة "رسمية" واحدة، حتى سيهل عليها تنمية نشاطها الاقتصادي والربحي باستمرار ودون معوّقات، في ظلّ مناخ اعتادت عليه في المركز وتحاول خلقه في الأطراف، أي أن انتشار النظام الرأسمالي ما وراء حـــدوده الأصلية يتطلب تهيئة بيئية أو ظروف سياسة، وخاصـــة ثقافية مناسبة له.

وفي سياق العولمة والفضاءات الرقمية والإعلامية التي خلقتها فقد جعلت من المعلومة سلطة جديدة تتجاوز الجغرافيا والزمن والسيادة، وتخترق المنظومات، كما ظهر اقتصاد الشبكات العابر للأوطان والمكرّس لقيم جديدة من خلال سلع جاذبة مادية ورمزية، فالمعلومة Information أضحت آلية أساسية لتيسير التبادل الفوري échange instantané.

إن المبادلات السلعية والخدمية لا تؤثر فقط على العلاقات الاقتصادية والسياسية فقط، وإنما أيضًا على المنظومة القومية والهوية الثقافية للأمم، فالطموح الليبرالي في تحقيق سوق كونية Global Market يمتد أثاره من المساس بسيادة الدول إلى خصوصياتها الثقافية، وهوما يحدث التصادم بين دعاة الخصوصية الوطنية National Preferences ودعاة السوق الحرّة Free Market.[29]

فحتى وإن كان عالم الاقتصاد والمبادلات يبدو عالما ماديًا بحتا، إلا أنه يسوق وراء كل سلعة رموز قيمية ثقافية لا تتصادم والقيم الراسخة محليًا فحسب، بل قد تلغيها أصلًا لتحل محلّها، ولا ريب أن العولمة

المادية لابدّ وأن تصحبها عولمة القيم والثقافة والفكر، فالمسار واحد، ومن ثم تغدو عمليات التنميط الثقافي والقيمي لا تخرج عن مسار تنميط الأسواق.

وكما أن للعولمة وسائل البث (وسائل الإعلام والاتصال) وسلع وأسواق حرّة، فإنها تمتلك أيضًا دعاةً وأقلامًا ونظريات، فمن ضمن " نظريات العولمة " تلك التي تنادي إلى توحيد الأنماط الثقافية والنظم، نظريتا التقارب والالتقاء[30] التي يرى أصحابها على غرار جون كنيث غالبرايت J.K Galbraith وكذا ريمون أرون R.ARON بأن التطور الصناعي والتقني سيُفضي إلى تقارب والتقاء النظم الاجتماعية والاقتصادية والقيمية الثقافية، مع مجتمع الاستهلاك الضخم البرجوازي.

كما أن هناك نظريات أخرى على غرار نظرية نهاية الأيديولوجية The end of the Ideology لأكثر من مفكر من ضمنهم إدوارد شيلز E.SHILLS وريمون أرون R.ARON في كتابه أفيون المثقفين opium des intelectuels.

وكذلك دي بيل D.Bell وليبست Lipset في كتابهما الصناعة الجديدة The new industryإذ يعتقدان أن التكنولوجيا والابداعات والمعلومة هي التي تقرر شكل المجتمعات ونمذجتها وقولبتها. وهناك من النظريات التي تدعو إلى اعتناق العولمة وتوظيف آلية التفتيت والتفكيك الثقافي الاجتماعي، عندما تصرّح بأن التخلص من الوطنية Nationalism ضروري كونها العائق الأكبر للنمو العالمي المتوازن، حينئذ ينبغي تجاوز الأمة، فكل الذين يتعاقدون في بلدان العالم مع حكوماتهم الوطنية ومع الأيديولوجيا الوطنية يعتبرون أعداء الوحدة العالمية والإنسانية.[31]

ومن بين الأساليب أو الأدوات الموظفة في الصراع الفكري من أجل استحداث التغيير المخطط، المكرس لهيمنة القوى الرأسمالية، الاعتماد الكبير في المستقبل على علم السيبر نطيقا Cybernitique أو علم التحكم control كما حدّده الأمريكي نوبرت واينر N.Wienner مؤسس علم السبرنطيقا وهو العلم الذي يؤثر في مجالات السياسة والدعاية والتعليم والإعلانات والتثاقف Acculturation ومن ثم يتجلّى كعلم للتحكم في الأفعال وردود الأفعال البشرية وتوجيهها وفق الحاجة والهدف، فهي علم ميكانيزم الضبط التي يتضمن حسب مُستحدثه "واينر" أنه عندما يتم إعطاء أمر لآلة معينة، فإن الوضع لا يختلف كثيرًا عن ذلك الوضع الذي يحدث عندما يعطى الامر للإنسان، أي تحويله لآلة متلقية ومتحكم فيها.[32]

وهناك من المفكرين من يدعو إلى الاستسلام إلى قوة العولمة وأنه لا داعي للمقاومة. وفي هذا الصدد يرى جيمس روزنو J.Rosneau أنه ينبغي التمييز بين مرحلتين من السياسة العالمية، فقد تركت البشرية عصر السياسة الدولية خلفها، فالدولة الوطنية هيمنت على المشهد العالمي واحتكرته والآن بدأ عصر ما بعد السياسة الدولية، الذي يجب فيه على ممثلي الدولة الوطنية أن يقتسموا المشهد مع المنظمات الدولية والشركات المتعددة الجنسية ويشاطره الرؤية المفكر هيلد D.Held الذي يعتقد بدوره أنه ينبغي أن تفهم السيادة اليوم على أنها قوة مفصومة، كما ينبغي إدراكها على أنها مقسّمة بين سلسلة من

الممثلين الوطنيين والدوليين.[33]

شكلت خطابات الليبرالية الجديدة وما بعد الحداثة الاطار النظري للعولمة لاسيما في محتواها الثقافي أو ما يطلق عليه بالثقافة الشاملة Global culture المتمخضة عن "الفكر الواحد Pensée unique" كما يُنعت باللغة الفرنسية والذي يُمجّد خطاب التوحيد والتكامل والإنسانية.

لقد ساق تطور إقتصاد السوق العالمي نتائجا عميقة على الثقافات والهويات، وكذا الخصوصيات الوطنية، أين برز مفهوم " العولمة الثقافية " بعد هيمنة النموذج الليبرالي الرأسمالي الذي يعد اليوم محرّكًا لقوى البّث من خلال الصنـــاعات الرمزية والاعلام والاتصال، وحتى من خلال أنمـــاط الاستهلاك وتوجيه الأذواق.

لا ريب أن حالات الانتقال، وموجات فتح الأسواق التي تعرفها جّل المجتمعات قد مهّدت الطريق لعبور السلع الرمزية إلى جانب السلع المادية، كما أن التكنولوجيا الرقمية والأقمار الصناعة سمحت بالتغلب على الحدود الجغرافية، وأفضت إلى تعاليم ثقافية جديدة، وأنماط حياتية تتماشى واقتصاد السوق، فالخضوع لنظام ومنطق السوق الحرّة مثله مثل الخضوع للنموذج الثقافي المهيمن فكلاهما حلقتين مرتبطين من حلقات سلسلة العولمة.

إن شبكات العولمة صارت مثارًا للقلق والهواجس كونها تشكل اليوم تحدّيًا للتاريخ وتحدّيًا للجغرافيا وللزمن، وتحدّيًا للنماذج الإنسانية المشتركة والمألوفة، حيث أفرزت هذه الظاهرة نوعًا من القيم الجذابة والبراقة التي تستقطب الثقافات الوطنية، ومن ثم تفقد هذه الأخيرة مميزاتها وخواصها تحت ضغط "المنبهات" القوية للثقافة العولمية، التي تمتلك آليات الإبهار وتروّج لها بشكل فعّال.[34]

ويقر كينيشي أوما Kenichi Ohmae في كتابه الشهير عالم بلا حدود والجغرافية السرية للاقتصاد الجديد: "أن الدولة بمكوناتها القيمية والثقافية والسياسية تتحوّل بشكل تدريجي من متغير مستقل إلى متغير تابع، وهي بالتالي لم تعد ضرورية لتنظيم النشاط الإنساني، فالعولمة تشكل تحدّيًا كبيرًا لسيادة الدولة الوطنية وشرعيتها وهويتها وإستقلاليتها".[35]

أضحت وظائف الدولة حتى الثقافية منها في ظلّ العولمة تنتقل إلى أعلى المؤسسات فوق قومية (قوى العولمة)، وإلى أسفل المنظمات والبنى التحتية (المجتمع المدني)، فالدولة في ظلّ العولمة تتعرى ويتم تجريدها من الفعل السياسي الدولاتي والاقتصادي وكذا الثقافي.[36]

وهكذا تجد الدول والمجتمعات بمنظوماتها السياسية، والاقتصادية والثقافية نفسها أمام مأزق التفكيك والاختراق والاستقطاب من قبل قوى العولمة. ولعلّ أبرز من عّبر عن هكذا وضع عالم الاجتماع الأمريكي دانيال بال D.Bell في مقولته المشهورة: "الدولة أصبحت أصغر من أن تتعامل مع المشكلات الكبرى، وأصغر من ان تتعامل بفعالية مع المشكلات الصغرى في ظلّ العولمة".

" The state was becoming too small to handlereally big problems، and large

to deal effectively with small ones “.

إنّ عولمة الاتصال والرقمنة والتدفقات Flux المادية والرمزية في العالم المسمى بلغة الاتصال " قرية كونية " ما فتئ يشعر سكانه بالتواصل مادًيا والتباعد روحيًا وحضاريًا، كما أن أبرز مشاهد هذه القرية هو القلق المتزايد والتصادم بين المحلي والعالمي الوافد والقار.

المحور الثالث: الثقافات المحلية ومعضلة جدلية الانسلاخ والتكيف.

يمكن الإقرار بأن العولمة الإعلامية والثقافية قد وضعت المنظومات الثقافية الوطنية على محك حقيقي وأمام جدلية بين طرفي نقيض، أو على الأقل أمام إشكالية التوفيق بين الخصوصية الوطنية والمعايير العولمية، بين الأصـــيل والدخيل أي بين تعزيز للثقافة المحـلية أو الانفتاح على العولمة الثقافية أو ثقافة العولمة.

من الاتجاهات الكبرى Mega trends التي تطبع واقع عالم الجنوب، أن الليبرالية ستصبح الثقافة الرسمية للعالم وذلك من خلال استثمارها في توحيد برامج التعليم والتكوين، وكذا دعم وسائل الاعلام المستقلة، وتشجيع الأبحاث والبناءات الفكرية المتبنية لنظرية الليبرالية والعولمة وما بعد الحداثة حتى يتم تكريس التنميط الثقافي عالميا.

لقد أثير نقاش واسع بين الباحثين بشأن قضية العولمة الثقافية: هل هي تمثل شكل من أشكال العولمة كغيرها من الأنواع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمالية، أم أنها منبثقة من عولمة الاقتصاد؟ وفي هذا الصدد ظهر إتجاه يرى بأن العولمة الثقافية هي من أهم تحديات العولمة، حيث أن هذه الأخيرة تعتبر كمنظومة متكاملة ومتعددة المجالات، إلا أن المجال الثقافي هو الهدف والغاية من العولمة، وما العولمة السياسية والاقتصادية إلا منافذ للوصول إلى تعميم قيم ومعايير ثقافية لمجتمع قوي ويستقوى على جميع ثقافات المجتمعات الأخرى، وفي هذا الصدد يقول مايك فيدرستون M.Featherstone :"إن التمدد والتداخل الثقافي، هي عملية تقوم فيها سلسلة من التدفقات الثقافية بإفراز ثقافة عابرة للقوميات يمكن تسميتها " بالثقافة الثالثة " إذ تؤثر العولمة على تغيير حياة الناس وأذواقهم "، فنظم الاتصال والاعلام والكتب والقيم التي تُنشر كونيا وفوريا تشكل ثقافة أحادية المصدر يصنعها المتحكم الأكبر في رسم الأفكار والاتجاهات والقيم، إنها تعني ضمنيا وغالبا ليبرالية الثقافة.[37]

إن القيم الوافدة من الغرب هي بصدد دمج المجتمعات النامية في أنموذج مقولب وفقا "للثقافة العولمية" حينئذ تصبح الثقافة المحلية عاجزة عن تحريك وتطوير المجتمع، كون ثنائية المرجعية الثقافية Dualism سيحول دون تحقيق ذلك. إذ سيحدث عجز واختلال في الوظيفة الثقافية، ذلك أن الديناميكية الحقيقية لأي ثقافة لا تتحقق إلا بانسجام الذات المجتمعية مع مرجعيتها ومنظومتها القيمية، وليس في ظل ثنائية تنافرية.

تترتب عن العولمة أخطر النتائج باعتراف كثير من الباحثين، وهي تلك المتصلة بمخاطر الاقتلاع الثقافي والخوف من فقدان الهوية لدى العديد من الدول والشعوب، وفئات اجتماعية واسعة تزداد هامشيتها

وضياعها، وتخضع لمخاطر الحروب الأهلية الكامنة أو تلك المتفجرة عبر العالم، إن ما يحدث اليوم يشكل تغيرا هائلا تدخل معه البشرية في عصر المجال السمعي البصري، والتواصل الفوري المباشر، وإن مثل هذا التواصل بات يشكل تهديدا لمنظومات القيم والرموز، تغييرا في مرجعيات وأنماط الحياة، حيث وجدت الثقافات المحلية نفسها عارية أمام تدفق الرسائل والعلامات التي تجوب العالم على مدار الساعة حاملة معها أبطالا ورموزا جديدة تملأ مخيّلة المشاهد بدءا بعارضات الأزياء ونجوم الكرة ورموز السينما والفن والأعمال.[38]

يشهد العالم اليوم في ظل التطورات الجسيمة التي يعرفها إرهاصات عصر طابعه شديد الخصوصية والتي يستمدها من تلاشي للدول وذوبان شخصيتها وملامحها وحدودها، ويتم ذلك تارة طواعية وتارة اختيارا، إذ أصبحت حكومات الدول أكثر هشاشة أمام اجتياح العولمة وتعاظم سطوتها، وسحقها للهوية والشخصية الوطنية وإعادة تشكيلها في إطار هوية عالمية، وكذلك سحق الثقافة الوطنية وإيجاد حالة اغتراب ما بين الفرد وتاريخه الوطني وموروثاته الثقافية والحضارية، حيث تذوب الخصوصية الوطنية باستخدام آليات الابهار، زيادة على استباحة الخاص الوطني وتحويله إلى كيان رخو لاسيما إذا كان لا يملك القدرة على التطور والتكيف.[39]

إن الثورة الرابعة للاتصال أي الثورة الرقمية Digital قد أوجدت مناخـــا مغايرا كليا وفّر المعلومات والآراء، ووجهات النظر المتباينة للأفراد من خلال التدفقات الإعلامية Flux، وكذلك بواسطة الطريق السريع للمعلومـات Information Super Highway دون استئـذان للسيـادة الوطنية أو للحكومات والدول.

تروّج العولمة اليوم للأنموذج الشامل، ويبدو أن هذا الترويج يستند على قوة بثّ هائلة، تجد روافدها في الثورة التكنولوجية الاتصالية والإعلامية، المتعاظمة التي يحوزها هذا النموذج (الرأسمالي – الليبرالي – ما بعد الحداثة)، حيث تعمل قوى البّث هاته Diffusion Powers على نشر وتعميم Ramification أطر وقيم ومعايير ذلك النموذج ليشمل العالم ككل ،حيث يعمل على تفكيك وإزاحة النماذج والمنظومات المحلية الوطنية ليحّل محلها.[40]

فالعالم اليوم يشهد تحولات كبرى من تطور باهر للمعلوماتية وتكنولوجياتها، وتعدد الوسائط الإعلامية والاتصالية multi media التي خلقت ثقافة جديدة تتمتع بقدرة عالية على الجذب والتدفق الكبير للمعلومات وانسيابها دون حدود أو قيود، وتعمل على غرس قيم جديدة مُحدثةً نوع من الخلل الوظيفي Dysfonctionnment في وظائف الثقافات المحلية، وفي ظل هكذا وضع أضحت المجتمعات النامية خصوصا مثقلة بالمدخلات الاضطرابية التي ساقتها العولمة، حيث تلاشت قوى التحكم والضبط الاجتماعي والقيمي، وتناقصت مناعتها الثقافيـة، في ظل ما يعرف عند البعض بالإمبريـالية الجديدة أو الامبريالـية الالكـترونية، حيـث ازدادت قابلية الثقافـات المحلية للانكشـاف والتأثر بقوة إفرازات العولمة الثقافية.

إنّ النظرة المابعد حداثية تبدو نظرة اقصائية ومركزية Ethnocentrism تعمل على تجاوز ونكران التعددpluralism وتجسيد الغربنة occidentalisation وتفوّق النمط الشمولي Globalism وتوحيد الأنساق Uniformisation "وتقابل هذه النظرة رؤية أقل قدرية Moins Fataliste ترى أن الدول "الأطراف" أي دول العالم النامي ستظل تبحث عن خلاصها والذي لن يكون إلا بالاستناد إلى خصوصيتها المحلية لأن لبرلتها (Liberalisation) تعني غربنتها وزوالها ككيانات متميزة، حيث يعتقد أصحاب هذه الرؤية أن الخصوصيات المحلية (Spécificitées Locales) ليست بصمة قابلة للمسح، إنها البنية العميقة (Structure Profonde) للوجود الإنساني في الزمان والمكان.[41]

إنه من غير الممكن أن نطلب من أي ثقافة كانت أن تتوقف عن أداء مهمتها الحياتية، وفي تأكيد خصوصيتها لتصيغها على نمط ثقافات أخرى، أو تشكيل أنماط قيمها الدينية وضوابطها السلوكية الخاصة بصورة مطابقة لثقافات مجتمعية أخرى، فتلك مطالب تعسفية غير مقبولة وغير مبرّرة حتى داخل الثقافة المجتمعية الواحدة والتي قد تنحرف بدعوى التماثل والتجانس أو الضرورة والشمول إلى طمس اختلاف ثقافاتها الفرعية Sub– Cultures للأقليات الاثنية أو الجماعات الدينية.[42] ويحذّر البعض من الهوية الثقافية القائمة على نفي هوية الغير أو إلغائها كما يقول المفكر شايغان D . Chaygan" إن أخطر الهويات على الاطلاق، هي تلك التي لا تتحقق إلا على أنقاض هويات الآخرين، فينبغي أن تكون الهوية متصالحة، مثقفة ومتوافقة مع هويات الآخرين لا أن ترفضها أو أن تهددها".[43]

وحسب العديد من الباحثين والأنثروبولوجيين فإنّ الثقافات المحلية مهما تراخت وتدحرجت وتراجعت فإنها ثقافات حية قابلة للتجدد والتغير وحتى التكيف ولكنها لا تموت.

يرى عالم الاجتماع الروسي سوروكين P. Sorkin في كتابه الديناميكيات الاجتماعية والثقافية Social and Cultural Dynamic الصادر عام 1941 في أربعة مجلدات كاملة، أن الثقافات بطبيعتها تتغير كون التغير هو سنة الحياة، فخاصية التغير ملازمة للثقافة فهي عبارة عن تاريخ ونسق متأصل، وتتحدد مراحل التغير سلفا بواسطة القوى الداخلية للنسق أساسا، لكن هذا لا يعني البتة أن هذا التغيير الثقافي لا يتأثر بالعوامل الخارجية، ويقرر سوروكين أنه يمكن أن يحدث جمود ثقافي، إلا أن الثقافة كثقافة لا تموت أبدا، فقد تلفض أجزاء منها، ولكنها تمتص أجزاء أخرى، وهكذا يكتب لها البقاء، وفي سنة 1944 نشر ألفريد كروبر Alfred kroeber كتابه تشكيلات النمو الثقافي Configuration of Cultural Growth، وهي دراسة للطريقة التي تتغير بها الثقافات، حيث وصل الكاتب إلى نتيجة أنه لا يوجد ثمة قانون يمكن على أساسه التنبؤ بنمو أو أفول ثقافة ما، كما أن الثقافة الواحدة يمكن أن تتراجع وأن تزدهر عدّة مرات.[44]

وحاول من جهة ألفريد فيبر Alfred Weber شقيق ماكس فيبر، إلقاء الضوء على المسألة الثقافية في دراسة له جاءت في مؤلفه تاريخ الثقافة كعلم اجتماع ثقافي سنة 1935، Cultural History as

Cultural Sociology إذ يرى أنه ينبغي التسليم بوجود ما يسمى الإرادة الثقافية، فهي الدافع والمحرك للمسارات التاريخية ،فالثقافة تعرف فترات الرخاء والإنتاجية ،وفترات من التراجع والقصور ،وهناك صراعات ثقافية بين المجتمعات لا تنطفئ، كما أن الانسان هو خالق للثقافة باستمرار وبمواد جديدة يجب أن يسيطر عليها روحيا.[45]

إن العولمة كما تبدو في أطروحات كبار العالم اليوم هي رحلة محمومة نحو أحادية الفكر والرؤية والثقافة واللغة، والأحادية (Unicite) هي إفقار خطير للجينوم الثقافي البشري، وإذا كانت اللغات الضيقة الانتشار هي المهددة اليوم، فغدا سنكتشف بذهول أن كل اللغات مهددة، لأن العالم لم يعد بحاجة إلى تواصل، فالتواصل يكون حين توجد تعددية واختلاف، أما حين تقولب الأمور والأفكار في قوالب مماثلة فلا حاجة إلى التواصل سنؤول يومئذ إلى نماذج سيبور(Cybords) تحمل هاتفا نقالا ولا أحد يتصل بها، قد تكون هذه الرؤية – قيامية – Apocalyptic ولكن من يتموقع اليوم في هامش الصراع الثقافي العالمي سيدرك حتما أن الثقافات المأزومة لا تحمل مضادات حيوية ضد الوباء الكوني.[46]

ينبغي أن يتغير تفكير البشرية وأسسا لابد وأن توضع في الاتجاه نحو ثقافة إنسانية واحدة لكنها متعددة في الوقت نفسه، وهذا ما جاء في تقرير التنمية البشرية لعام 2004 الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي حيث أكد على "أن الحرية الثقافية جزء حيوي من التنمية البشرية والتي تمّكن الإنسان من إختيار هويته دون خسارة إحترام الآخرين، أو التعرض للاستبعاد من خيارات أخرى، كما أن الاعتراف الأفضل بالهويات سيؤدي الى تنوع أكبر في المجتمع ويثرى حياة الناس، فالناس يريدون ممارسة دينهم علانية، والتحكم بلغتهم والاحتفال بثراهم العرقي أو الديني دون خوف من تهّكم أو عقاب أو انتقاص لفرصهم المواتية، والناس يريدون المشاركة في المجتمع دون الاضطرار إلى التخلي عن جذورهم الثقافية، إنها فكرة بسيطة لكنها مثار قلق عميق ويبدوا أن هذا القلق ينبع من كون العالم يتغير، فالكرة الأرضية التي كانت هائلة الحجم قبل حوالي مائة عام جعلت منها ثورة الاتصالات كحبة رمل صغير، فيجب أن نقبل جميعنا العيش فوقها وأن تجد الإنسانية صيغة مشتركة ومستديمة لحياة تقبل بتعدد الثقافات وتنوعها كأساس يساعد على التطور البشرية لا صراعها فيجب "أن نبتهج باختلافاتنا" على حد تعبير رئيس الأساقفة في جنوب إفريقيا ديزيموند توتو.[47]

الخاتمة

إن حالات التأزم العميق التي تعانيه الثقافات المحلية والوطنية اليوم يفرض عليها إيجاد مواقع لها ضمن الخريطة الثقافية "العولمية" ولا يتسنى لها ذلك إلا من خلال المزيد من الاجتهاد وعمليات الاستدراك والحرص على التحيين، واستغلال الفرص المتاحة.

إن البكاء على الاطلال والتشبث بنظريات الغزو الثقافي والمؤامرات الخارجية وغيرها من الشماعات والخطابات الجوفاء لم يعد يجدي نفعا في زمن الفعل والاجتهاد والابتكار، فمن الضروري الالتفات إلى المرآة والتشخيص الصحيح لسباتنا وتأخرنا، وإعمال منهج النقد الذاتي Auto critique، فكم ترصد

حكومتنا من ميزانيات للبحث العلمي وللتربية والتعليم وللفعل الثقافي البنّاء...وهل ثمة استراتيجيات وطنية لترقية الكتاب والموروثات المحلية والتعريف بها وطنيا ثم الحديث عن التعريف بها خارجيا. وكيف لنا أيضا كشعوب أو حتى كمثقفين ونخب ان ننغمس في استهلاك وتقبل رموز ومنتجات الاخر أي الأجنبي، نستهوي ثقافته ثم نستهجنها...إنها أسئلة استشكلت وكذا مفارقات استفحلت، علينا حلها نحن أولا وفك الغموض عنها قبل اتهام وانتقاد الاخرين، صحيح ثمة عولمة تضرب بأطنابها، لكن بالمقابل ثمة استقالة حضارية واحتضار فكري ثقافي لدينا، نعم التعدد أو التنوع الثقافي مطلب مشروع ومنطقي ومؤَسَس لكنه لا يُدرك بالتمني، بل يؤخذ غلابًا بالعلم والعمل.

ومن منظورنا فإن الإبداع الفكري وتثمين مختلف الإنجازات والبحوث العلمية يُعد بحذ ذاته منظومة مناعية اتجاه العولمة الجارفة إلا انها لا تتحقق بالخطب العصماء وجعلها أسيرة مناسبات وبهرجة إعلامية، بل تتجسد من خلال وجود إرادة سياسية فعلية يتم ترجمتها على الواقع برصد ميزانية هامة للبحث العلمي وتشجيع الفعل الفكري والثقافي، فالتكيف يبقى متطلبا واقعيا وليس التصادم بالضرورة، ومع ذلك فحتى التكيف لا بد له من قوة وحركة ثقافية فكرية وطنية ولكن ليست بالشوفينية المغلقة بل المتفتحة على كل وافد مفيد.

الهوامش

1 -.أنظر محمد عابد الجابري، مفهوم الثقافة... وقاموس الخطاب العربي المعاصر على الموقع: http://www.aljabiriabed.Net/culture/htm

2 -الطاهر لبيب، سوسيولوجيا الثقافة، ط5، صفاقس (تونس): دار محمد علي الحاجي، 1985، ص 6.

3- Edgar Morin ، «de la culture Analyse a la politique culturelle » communications vol14، N 14، 1996.

4 -عبد الباسط الغابري، تطورات قضية الحرية في الفكر العربي الحديث والمعاصر، المستقبل العربي، العدد 394، السنة 34، ديسمبر 2011، ص 120.

5-أحمد أبوزيد، البناء الاجتماعي، القاهرة الدار القومية للطباعة والنشر، 1966، ص 186.

6 -Robert Biersted t ، the social order، (Washington، USA، 1957) p 104.

7 -أحمد الخشاب، التفكير الاجتماعي، القاهرة، دار المعارف، 1970، ص، 693.

8 -عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، عمان: مؤسسة الرسالة، 1981، ص 22.

9 -نبيل توفيق السمالوطي، مصر: دار الشروق، 1980، ص، 192.

10 -Emyclopedia univers salis (paris : N.pb) 1985، pp، 954-955.

11 -مالك بن نبي، أفاق جزائرية: للحضارة، الثقافة، للمفهومية، (ترجمة: الطيب شريف) الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية (د ت ن)، ص 145-146.

12- عبد الحليم بركات المجتمع العربي في القرن العشرين، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2000، ص 109.

* عقدت هذه المؤتمرات في القارة الأوروبية (هلسنكي1972) في أسيا (جاكارتا 1973) ثم إفريقيا (أكرا سنة 1975) فأمريكا اللاتينية والكراييب (بوغوطا عام 1978) ثم الدول العربية (بغداد سنة 1981)

13 -مؤتمر اليونيسكوالخاص بالسياسات الثقافية المنعقد من 26 جويلية إلى 08 أوت عام 1982 بالمكسيك.

14 -العلالي صادق، العلاقات الثقافية الدولية: دراسة سياسية قانونية الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2006، ص، 50.

15- المرجع نفسه، ص 61.

16- المرجع نفسه، ص ص 66-67.

17 -حسين عثمان، نادية، جبر عبد الله، العولمة سيادة الدولة الوطنية، الجزائر: دار الهدى للنشر والتوزيع، 20 ص 09-10.

18- Stéphane، économie politique internationale، éditions Montcherstien 200،5، p.21.

19- السيد ياسين، في مفهوم العولمة، العولمة والعرب، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998، ص 26.

20 -عبد الله عبد الخالق، العولمة السياسية، المستقبل العربي مركز دراسات الوحدة العربية العدد 278، أبريل 2002، ص 25.

21- كامل الخزرجي، ياسر المشهداني، العولمة وفجوة الامن في الوطن العربي، عمان: دار المجد لاوي للنشر والتوزيع، 2004، ص 21.

22 سمير أمين وآخرون، المجتمع العربي في القرن العشرون، بحث في تغير الأحوال والعلاقات، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000، ص 269.

23- محند برقوق: العولمة وإشكالية الامن الإنساني، دراسات استراتيجية، الجزائر: مركز البصيرة للدراسات والبحوث، العدد 12، سبتمبر 2010، ص 6.

24 -نادية مصطفى، دراسة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل، رابطة الجامعات الإسلامية، 1998، ص 50-51.

25- منصف بوزفور، العولمة والنظم الحارسة، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2004، ص 320-322.

26 -المرجع نفسه، ص 262.

27- عبد الخالق عبد الله، " العولمة: جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها " عالم الفكر العدد 2، ديسمبر 1999، ص 76.

28- نصر الجويلي، الثقافة العربية في مواجهة تحريات العصر، مجلة الهداية، العددان 1و2، السنة 25، 2000، ص 81.

29 -Freey-doun A.Khauond ، le Nouvel ordre commerciale Mondiale du GATT a Lio MC Paris: éditions NATHAN ، 1996،p،101.

30- عبد الحسين شعبان، "الصراع الأيديولوجي في العلاقات الدولية وتأثيره على العالم العربي"، اللاذقية (سوريا): دار الحوار، 1995، ص 68.

31 -حازم الببلاوي، على أبواب عصر جديد، الصبغة 2، القاهرة: دار الشروق، 1981. ص 165.

32 -حازم الببلاوي: المرجع نفسه، ص 167.

33 -أولريش بك، ماهي العولمة؟ (ترجمة: أبوالعيد دودو) منشورات الجمل ألمانيا 1999، ص 58.

34 -فاروق العربي، الدولة الأمة على محك العولمة، الجزائر: طاكسيج كوم 2009، ص 62.

35- Ohmae Kenichi، Géographie secrete de la Nouvelle، économie، paris : éditions village Mondiale 2001، p 284.

36- Richard Higgot، globalization and regionalization ، new Trends in word politics، the Emirates center for strategic studies and research، Abu Dhabi، 1998، p13.

37 -سفيان فوكة، العولمة واشكالية الأنموذج الثقافي المتعدد مجلة فكر ومجتمع، العدد 20، أفريل 2014، ص ص 621 - 622.

38 -منصف بوزفور العولمة والنظم الحارسة، مرجع سابق، ص 298.

39 -محسن أحمد الخضيري، العولمة: مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر الدولة، القاهرة: مجموعة النيل العربية،2002، ص، 130.

40 -فاروق العربي، المنظومات الأمنية الوطنية على محك العولمة الإعلامية: بين الاختراقات وضرورات التحصين، ورقة بحثية مقدمة ضمن الندوة الدولية حول عولمة الاعلام السياسي وأثره على الأمن القومي للدولة النامية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة 2017.

41 -بوحبيب حميد، " الثقافة والسراب في العولمة والثقافة الشعبية "، مجلة النائب، العدد الأول، سنة شتاء 2003، ص 125.

42- سالم ساري،" إشكالية الثقافية والحضارة " مجلة البصائر، المجلد 2، أذار 1998، ص97.

43-دار يوش شايغان، الهوية، الجماعة والجماعات"، مجلة مواقف، العدد 65 خريف 1991، ص 60.

44 –نيكولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع، طبيعتها وتطوراتها (ترجمة: محمود عودة وآخرون) القاهرة: دار المعارف، 1983، ص ص 410 – 412.

45 –المرجع نفسه، ص 414.

46 –بوحبيب حميد، مرجع سابق، ص 133.

47– ياسر الزيات، عن الوحدة والتنوع: أن نبتهج باختلافاتنا، مجلة الإنساني الصادرة عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر، العدد 50، خريف 2010، ص 36.